

أثر الثقافة الحضرية على الأسرة في المدينة

الأسرة السوفية أنموذجا

The impact of urban culture on the family in the city

The Sofiet family as a model

تاج الدين هادفي¹ ، رابح بن عيسى²

¹ مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع، جامعة الوادي (الجزائر)، hadfi-tadjedine@univ-eloued.dz

² مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع، جامعة الوادي (الجزائر)، Rabah.benaissa@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 2023/05/26؛ تاريخ القبول: 2023/11/02؛ تاريخ النشر: 2024/02/04

ملخص: تهدف هذه الدراسة لمحاولة التعرف على أثر الثقافة الحضرية للأسرة السوفية في الأحياء السكنية الجديدة مبرزين في ذلك أهم التغيرات والتحولات التي طرأت عليها من حيث أشكالها ووظائفها ونمط علاقاتها الاجتماعية، وما انعكس عنها من آثار ومظاهر ثقافية جديدة من جراء أسلوب الحضرة على بنيتها الداخلية، وقد بينت هذه الدراسة أن للثقافة الحضرية دورا مهما في تغير الأسرة السوفية بالأحياء السكنية الجديدة، حيث تغيرت من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية، نقص السلطة الأبوية، وخروج المرأة للعمل، تقسيم الأدوار على مستوى أفراد الأسرة، أما على مستوى العلاقات الاجتماعية فقد تميزت بالسطحية والمصلحة الخاصة بين الأفراد.

الكلمات المفتاحية: تحضر؛ حضرية؛ ثقافة حضرية؛ أسرة؛ مدينة.

Abstract: This study aims to try to identify the impact of the urban culture of the Sofiet family on the new residential neighborhoods, highlighting the most important changes and transformations that occurred in it in terms of its forms, functions, and the pattern of its social relations, and the new cultural effects and manifestations reflected in it as a result of the urban style on its internal structure. This study shows that urban culture has an important role in the change of the Sofiet family in the new residential neighborhoods, as it changed from an extended family to a nuclear family, lack of paternal authority, and women going out to work, division of roles at the level of family members, but at the level of social relations it was characterized by superficiality and special interest between individuals.

Keywords: urbanization; urban area; urban culture; family; city.

I- تمهيد :

لقد مر المجتمع الجزائري بتغيرات وتحولات عديدة نتيجة لثقافة التحضر السريع الذي عرفها بعد الاستقلال مباشرة، حيث تميزت هذه المرحلة بتزايد نمو سكاني نحو المدن و المناطق الحضرية من جراء الهجرة الجماعية التي عرفتها المناطق الريفية خاصة مع انتشار الصناعات المتنوعة التي أدت إلى اتساع المدن في أنشطتها وتوسع مساحتها وامتداد مجالها، الأمر الذي خلق مزيدا من فرص العمل حيث يتوفر الأجر الأكبر والمستوى المعيشي الأفضل، وهذا بدوره أدى إلى تحسين نوعية الحياة الاجتماعية للسكان داخل المدن الحضرية، فالمدينة هي الأكثر تعرضا لمقومات الحداثة والعصرية التي تقوم عليها ثقافة التحضر، كما أنها تمثل نسقا وظيفيا متكاملًا في مظهرها الداخلي والخارجي تفرز من خلال ذلك مظاهر ثقافية متجددة تتماشى مع حياة الأفراد، وتحافظ على تواصل المجتمعات واستمراريتها.

لقد شهدت الأسرة السوفية في نظامها العام تغيرات عديدة داخل الأحياء الحضرية الجديدة حتى تتماشى وتلائم مع واقع الحياة المدنية ويكون لها تنظيم اجتماعي محكم بضوابط خاضعة للحياة الاجتماعية الحضرية وفق أعراف يضعها قانون المدينة يضمن لها الانتماء إلى الجماعة والتعايش معها بكل حرية، وعليه فقد تبدلت الكثير من المفاهيم التقليدية للأسرة السوفية في الأحياء السكنية الجديدة سواء في الجانب المادي أو الجانب الفكري والسلوكي من خلال التحول الذي مس أهم المقومات الأساسية لها كالعادات والتقاليد وروابط العلاقات الاجتماعية وغيرها من التغيرات التي مست البنية الداخلية للأسرة السوفية.

إن اهتمامنا بموضوع الثقافة الحضرية له هدف أسمى ألا وهو انشغال سوسيولوجي يتعلق بما تقدمه الثقافة الحضرية من إغراءات للمجتمعات الحضرية وما ينجم عنها من انعكاسات مختلفة تنصب على واقع الحياة الاجتماعية للأسرة في المدينة، وعلى هذا الأساس جاءت دراستنا تبين تأثير الثقافة الحضرية على الأسرة السوفية في الأحياء الجديدة، وعليه أهم المفاهيم الأساسية التي يتضمنها موضوعنا هي: التحضر، الحضرية، الثقافة الحضرية، الأسرة، المدينة الحضرية.

1. تحديد المفاهيم:

التحضر urbanisation: هو العملية التي تتم بها زيادة عدد سكان المدن عن طريق تغير الحياة من حياة الريف إلى الحياة الحضرية. (شوقي، 1981، ص 23)

كما عرف العالم " تومسون " التحضر: بأنه انتقال الناس من جماعات تُعنى بصفة رئيسية بالزراعة إلى جماعات أكبر بوجه عام، تتركز نشاطاتها أصلاً في الحكم والتجارة والصناعة أو المصالح المشتركة. (دارين و دافيد، 1969، ص 185)

ونعرف التحضر إجرائياً: هو مختلف العمليات الاجتماعية التي تلازم الواقع الحضري الذي يعيش فيه الفرد بحيث تكون مؤشرات: المستوى التعليمي، الدخل، وضعية السكن، المحيط الخارجي، الاختيار بين البدائل، نمط المعيشة، قوة العلاقات الاجتماعية و ضعفها، التغير الاجتماعي.

أما الحضرية urbanisme: هي مجموعة الاتجاهات والقيم، والمعتقدات والسلوكيات التي تتسم بها طريقة الحياة في المجتمع الحضري والذي يعد من الأساسيات المميزة للبيئة الحضرية. (وجدي، 2007، ص 26)

ويعرفها لويس ويرث بأنها طريقة للحياة، فتصبح بذلك الحضرية طريقة عيش سكان المدن خاصة. (الجلواني، 1993، ص 12)

وتعرف الحضرية إجرائياً على أنها ظاهرة تشهدها جميع المجتمعات البشرية وتتجسد في واقعنا في استقرار الناس وإقامتهم في تجمعات حضرية قد تأخذ شكل المدن، وتبلور معالمها في العديد من التغيرات للأفراد كسلوكهم وتفكيرهم وطريقة علاقاتهم مع الآخرين.

تعريف الثقافة: عرفها ابن خلدون "على أنها العمران الذي هو من صنع الإنسان، بما قام به من جهد وفكر ونشاط ليسد به النقص بين طبيعته الأولى وخاصة في بيئته، حتى يعيش معيشة عامرة زاخرة بالأدوات والصناع" (أبو شعيرة، 2008، ص 18)

ويعرفها مالك بن نبي على أنها "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته لتصبح لا شعوريا تلك العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه فهي على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته" (ابن نبي، 1959، ص 73)

وأما تايلور فعرفها "بأنها ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل على المعرفة والمعتقدات والفنون الأخلاق والقانون والعادات أو أي قدرات أخرى أو عادات يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع. (بوفلجة، 2014، ص 15)

تعريف الثقافة الحضرية: على أنها فن العيش في بيئة كثيفة وغير متجانسة، ومجموعة من المهارات التي تسمح بالتكيف مع الجمهور والانتشار في أنظمة العلاقات المعقدة.

كما هي مجموعة من الأنشطة الفنية والفكرية التي يشترك فيها سكان كاملون بنفس اللغة، ونفس التاريخ والقيم الأخلاقية المشتركة والعادات المتطابقة وما إلى ذلك.

التعريف الإجرائي للثقافة الحضرية: هي ذلك الابتكار اليومي والذي يتحول بدوره إلى أحداث وأشياء وأنشطة إبداعية ومبتكرة وممتعة تعمل معا للحفاظ على حياة المدينة.

تعريف المدينة: هي كل ما يختلف عن الريف من حيث الاتساع وطراز المباني، وهي مجال لتركز الأشخاص في منطقة للحكم ومركز إداري كما أنها مجال منظم ومقنن لحياة الأفراد وملكياتهم وهي أيضا انعكاس لتنظيم اجتماعي معقد. (saidouni، p23)

وحسب روبرت بارك فالمدينة: هي منطقة طبيعية لإقامة الإنسان المتحضر، لها أنماط ثقافية خاصة بها، حيث تشكل بناء متكامل يخضع لقوانين اجتماعية وطبيعية على درجة عالية من التنظيم لا يمكن تجنبها. (عاطف غيث، 1986، ص 179)

التعريف الإجرائي للمدينة: هي تجمع سكاني كبير يمتاز بتلاصق السكنات، ويعتمد في نشاطاته على الجانب الاقتصادي والخدمي والسياسي، وأكثر ما يميزها العمارات والمحلات التجارية وتتمايز في علاقة أفرادها بالفردانية والمصلحة في علاقاتها الاجتماعية.

تعريف الأسرة: هي رابطة اجتماعية بين زوجين وأطفالهما، وقد تكون أكبر من ذلك فتشمل أفراد آخرين شريطة أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة مع الزوجين والأطفال. (عواشيرة، 2003، ص 113)

وعرفها أوغست كونت بأنها الخلية الأولى في جسم المجتمع والنقطة الأولى التي يبدأ منها التطور، كما هي الوسط الطبيعي والاجتماعي الذي يترعرع فيه الفرد. (رشوان، 2012، ص 25)

أما هيربرت سبنسر فأطلق عليها بالوحدة البيولوجية والاجتماعية. (رشوان، أ، مرجع سابق، ص 23)

وحسب العالم كنجولي ديفز هي جماعة من الأشخاص الذين تقوم العلاقات بين كل منهم والآخر على أساس القرابة والعصب (جابر، 2013، ص 22)

2. مقاييس الثقافة الحضرية: لا يمكن أن نسقط معنى الثقافة الحضرية على أي مجتمع حضري أو جماعة حضرية إلا إذا توفرت مقاييس للثقافة الحضرية تتماشى مع واقع حياة الأفراد داخل ذلك المجتمع. (العريج، 2009، ص 34)

ومن بين هذه المقاييس التي تحدّد معنى الثقافة الحضرية مايلي:

1.2 المقاييس الإحصائية: اختلف الباحثين في الرقم الإحصائي المتخذ كعتبة إحصائية تدل على مركز حضري أو مدينة حضرية أو منطقة حضرية، لان العتبات الإحصائية تختلف حسب كل دولة وكل مجتمع، فرى نفس الكميات ونفس العدد تأخذ معاني مختلفة للبنيات

الاجتماعية والإنتاجية التي تحدد تنظيم المجال، فالإحصاء الأمريكي حدد 2500 نسمة لعدد السكان كميّار لمجموعة حضرية، أما الندوة الأوروبية إتخذت عددا يفوق 10000 نسمة كمقياس اعتمادا على توزيع النشطين في مختلف القطاعات (العريج، نفس المرجع، ص 35) فدور هذا المقياس دائما يعتمد عليه في تحديد عدد السكان وكذلك الجانب الديمغرافي من أجل تحديد المجال الحضري أو المنطقة الحضرية.

2.2 مقياس الزمان والمكان: يعتمد كثير من علماء الاجتماع مقياس الزمان والمكان حتى يفرقوا بين ما هو حضري وما هو ريفي أو قروي، فعندما نأخذ مفهوم المكان، فنلاحظ في البادية أن المكان واسع ولا حدود له وفي نفس الوقت غير شخصي، بينما في المدينة ترسمه حدود وله أهمية كبيرة خاصة مع تطور ونمو المدينة، فنجد تصميم الشوارع، وانعزال مقرات العمل عن السكن والتنظيم الوظيفي للماء والإنارة والغاز. (العريج، نفس المرجع، ص 37)

2.3 مقياس المهنة: يستند علماء الاجتماع على مقياس المهنة للتمييز بين ما هو حضري وما هو قروي، فالمتجمع القروي هو الذي يشغل غالبية سكانه بالزراعة، بينما يشغل السكان الحضريون في الصناعة والتجارة والخدمات. (العريج، نفس المرجع، ص 38) لذلك نجد في المجتمع الحضري المؤسسات بمختلف أشكالها (إنتاجية وتجارية وخدمانية وإدارية وغيرها..)، بحيث تختلف على بعضها البعض طبقا لطبيعة وظائفها الداخلية ونسق الإتصال ونوعية المنتج والمهن التي تمارس داخلها.

2.4 مقياس المؤسسات: يعتقد الكثير من الباحثين بأن التحضر عملية معقدة لا يمكن إختزالها في مؤشرات كمية، بل يجب الإهتمام بالإنسان كمنتج حضاري، ولهذا تم الإهتمام بالمؤسسات التي تهتم بمجتمع ما عن مجتمع آخر. (العريج، نفس المرجع، ص 39)

وقد ظهر الكثير من علماء اجتماع المنظمات الذين إهتموا اهتماما كبيرا بالمؤسسات من بينهم: **Michel Crozier, Alain Touraine** في فرنسا، كما ظهر لأول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية مصطلح جديد وهو "ثقافة المؤسسة" لمواجهة المؤسسة اليابانية، وكان الهدف من ذلك هو الإهتمام بمكانة العمال كعنصر أساسي في العملية الإنتاجية. (Denys Cuhe, p100)

2.5 اللاتجانس الاجتماعي: يؤكد **لويس ويرث** على خاصية أساسية تميز السكان الحضريين وهي اللاتجانس **hétérogénéité** لأنهم من أصول ثقافية مختلفة، كما أن الحجم والكثافة يلعب دورا مهما في تعميق اللاتجانس بين السكان، إذ كلما كان العدد كبيرا كلما كانت الاختلافات بين الناس كبيرة، فالمدينة هي المكان الذي تختلط فيها الأجناس والثقافات المتغايرة، وهذا مايشجع على الفروق الفردية للنجاح (العريج، نفس المرجع، ص 42)

3. وظائف الثقافة الحضرية:

1.3 الوظيفة الاجتماعية: تسهم الثقافة الحضرية في تطوير قدرات الفرد على التفاعل مع مجتمعه، وتعلم السلوكيات التي تمكنه من

الإندماج بشكل جيد في البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، ويؤكد أبن خلدون في فلسفته الاجتماعية أن الإنسان يتأثر بشدة بالبيئة التي يعيش فيها، حيث يتعلم منها العديد من المهارات والسلوكيات التي تساعد على العيش بشكل صحيح في مجتمعه.

2.3 الوظيفة السلوكية: تساعد الثقافة الحضرية على تزويد الفرد والمجتمع بأنماط السلوك السوي، كما تعمل على دعم الأفراد بوسائل

الضبط الاجتماعي، كالآعاف والعادات والقيم، ثم تكافئ السلوك المقبول والذي يكون موضع على عملية الابتكار والإبداع، وذلك بتزويد أفرادها بملكات التفكير الملائمة.

3.3 الوظيفة النفسية: تؤدي الثقافة الحضرية دورا في تشكيل الهوية الفردية، بحيث هنا يتم تشكيل الشخصية الفردية وفقا لمقتضيات

الثقافة السائدة في تلك المجتمعات، بحيث يخضع الفرد لتعاليم المجتمع الاجتماعي الذي يروضه ويشكله وفقا لمقاييس خاصة به. مما يؤدي إلى برجة الفرد حسب حالة المجتمع وتكوينه النفسي.

3.4 الوظيفة البيولوجية والتنشئة الاجتماعية: تهدف الثقافة الحضرية إلى تعليم أفرادها كيفية قضاء حاجاتهم البيولوجية، بالإضافة إلى نقل القيم الاجتماعية السائدة كقيم العادات والتقاليد إلى الأبناء والأجيال الصاعدة حتى تكون تنشئة اجتماعية سليمة والتي تؤدي بالمحافظة على المكتسبات والموروثات الاجتماعية، كما توضحه الأهداف للأفراد.

3.5- الوظيفة البيئية: تعد البيئة مصدر لتعليم الأفراد كيفية التعامل مع المحيط الطبيعي، وذلك لمواجهة التحديات المحيطة بهم خاصة فيما يتعلق بالظواهر الطبيعية كالزلازل والبراكين.

3.6- الوظيفة الوراثية والتغيرية: تعتبر الثقافة من أهم الموروثات التي إكتسبها الفرد من سبقوه من الآخرين كالأهل والأصدقاء وغيرهم من قيم ومعايير وفنون وسلوكيات، وهذا إما عن طريق اللغة أو الرموز المتعارف عليها داخل المجتمع أو عن طريق الاحتكاك المباشر مع الأفراد من خلال التواصل المباشر فيأخذ منهم ويعطي لهم، بالإضافة أنه باستطاعته إدخال ثقافة جديدة في مجتمعه ويتبناها أفراد ذلك المجتمع، كما انه يستطيع أن يزيح العديد من الأشياء لثقافته والتي في نظره لا تواكب عصره وقد تعيق المجتمع أحيانا، وعليه فإنه هناك العديد من الوظائف للثقافة من شأنها التأثير في الوسط الحضري.

4. أهداف الثقافة الحضرية في المدينة: للثقافة الحضرية أهداف عديدة تساعد أفراد المجتمع أن يتكيفوا في الوسط الحضري الذي هم فيه، كما أنها تعطي لأفراد الجماعة الواحدة شعورا بالانتماء والاندماج في ذلك المجتمع. (السويدي، 1991، ص ص 90-91)

ومن أهم أهداف الثقافة الحضرية في المدينة مايلي:

أ- تساعد الثقافة الحضرية أفراد الجماعة الواحدة على طريقة التكيف وإثبات مكانتهم داخل مجتمع المدينة، بحيث أن هذا النمط من الثقافة يعتبر من الضروريات لقيام الأفراد بأدوارهم.

ب- تدعم الثقافة الحضرية أعضاء المجتمع بأهم المواقف ومضامينها، كما أنها تزودهم بمعاني الأشياء والأحداث، ولهذا يستمد أفراد الثقافة الواحدة من ثقافتهم عددا من المفاهيم الأساسية ليتمكنوا من خلالها ما هو طبيعي وغير طبيعي، ومنطقي وغير منطقي، وما هو جميل وقبيح، كريم وبخيل، خير وشر أي أن الثقافة الحضرية تحدد معنى الحياة وهدف الوجود.

ج- تسهل الثقافة الحضرية على الأفراد القدرة على حسن التصرف أثناء المواقف وذلك بأن تهيئ لهم التفكير والشعور، حيث أن الطفل يتعلم أساليب ثقافة التحضر من خلال ما تعيشه أسرته ورفاقه إلى المجتمع الذي يعيش فيه.

د- من خلال ثقافة التحضر يستطيع الإنسان أن يطور شخصيته في مجتمع المدينة، ويعرف ذاته ومجتمعه، حتى يحقق التلازم والتكيف مع البيئات الطبيعية والاجتماعية والتنشئة المتغيرة لمجتمعه الجديد.

هـ- تعلم ثقافة التمدن الأفراد طريقة اختيار وظائفهم وطرق إشباع حاجاتهم، بحيث تطور لهم حاجات جديدة للنجاح وطريقة كسب المال والثروة، وذلك بطرق وأساليب تنظم هذه الوظائف وتصبها في قوالب محددة ومعروفة من قبل.

و- تساعد الثقافة الحضرية الأفراد في المواقف الصعبة والحرجة، بحيث تقدم لهم بدائل أخرى وفرص لحل المواقف المتعسرة.

ي- تعطي ثقافة التحضر معايير وقيم التي تساعد بدورها في توجه أفعال وسلوك أعضائها.

ك- تعمل ثقافة التحضر على تحديد الاتجاهات والقيم والأهداف، وعلى هذا الأساس فهي تفسر جوانب الفشل والنجاح في المجتمع بأسره، بحيث يتعلم الأفراد القيم والأفكار بما هو مناسب وبطريقة غير شعورية، كما يتعلم اللغة والاتجاهات نحو الميل والشعور نحوها.

II - واقع الثقافة الحضرية في المدينة الجزائرية : إن لكل مجتمع عموماً ثقافة حضرية يمتاز بها حسب عادات وتقاليد شعبه، ومن خلاله فالثقافة الحضرية تعرف من خلال المستوى المجتمعي أو الوطني لكل مدينة، وتحدد مختلف التصورات الشعبية، أي الاختلافات والتشابهات الثقافية للتاريخ الاجتماعي. (Six levels of culture, p86)

وعليه فالمجتمع الجزائري يعرف بالمجتمع التقليدي لإرتباطه الكثير بالماضي وتأثير ذلك على حاضره رغم أن الثقافة التقليدية للمجتمع الجزائري عرفت مسارا من الأحداث المؤثرة فيه وفي تماسك عناصره، وهذا راجع إلى خصوصية المجتمع الجزائري في حد ذاته الذي سار عبر مراحل مختلفة في منتصف القرن الماضي والتي تميزت بأحداث ووقائع بنية وثقافة المجتمع، من بين هذه الأحداث مرحلة حرب التحرير الوطني إلى مرحلة الاستقلال ثم المشروع التنموي والبناء الوطني سنة 1967 باعتماد الجزائر نموذج تنموي جديد من حيث برامجه ووسائل تجسيده في ظل وجود الغاز والبترو. وكذلك أحداث أكتوبر 1988 التي خرج من خلالها الجزائريين للشوارع إحتجاجا على واقعهم والمطالبة بالإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما تابعه من إنفتاح عن العالم من الناحية السياسية والاقتصادية وكذا الازمات السياسية وانتشار العنف السياسي كلها وقائع غيرت وجه الجزائر (مولاي وآخرون، ص102)

ان هذا التغير والدينامكية جعلت من ثقافة التحضر للمجتمع الجزائري مجموعة من العناصر المشكلة للوعي الجماعي، أي مجموعة من القيم والمعايير المحلية التي تنطلق من المجتمع المحلي بحيث تقوم السلوك الفردي والجماعي، كما شكات الخلفية الذهنية التي تطبع تفاعلاتنا مع مختلف المؤسسات الاجتماعية حسب نوع علاقتنا الاجتماعية، وتبرز أكثر في وضعيات المواجهة أو المقاومة للعناصر الثقافية الدخيلة والمتعارضة مع أهدافنا وطموحاتنا، كما ان التغيرات الكبرى التي كان العامل المسبب فيها الاستعمار الذي حول كامل الصرح الاجتماعي للمجتمع الجزائري بتأثيره على الريف والمدينة في نفس الوقت، إلا أن هذا التحول نراه اليوم أكثر إنتشارا في المدن الحضرية الجديدة كونها تكون تنظيما اجتماعيا واقتصاديا مميذا بإحكام.

فالتغير الذي يحدث في المجتمع الجزائري اليوم لا يمس المظاهر المادية فحسب، بل تعدى ذلك إلى القيم والسلوك والعادات وأيضا طرق التفكير، كما يتضمن طرقا مختلفة لتنظيم الحياة الأسرية وطرق التنشئة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية وتغير اتجاهات أفراد المجتمع وقيمهم وعاداتهم وسلوكاتهم.

وعلاقة الثقافة الحضرية بالأسرة كانت موضوعا لكثير من الدراسات التي توصلت إلى وجود تأثير واضح على بنيتها وخاصة وظائفها، فحسب بيرجس ولوك فإن الأسرة تتغير بتأثير عملية التحضر في اتجاه واحد في حين رأى بارسوتز أن الحياة الحضرية تتجه بالأسرة إلى النمط النووي المنعزل وذلك حتى تتلائم مع ظروف الحياة الحضرية، كما أن إنتقال المجتمع الريفي التقليدي إلى مجتمع حضري صناعي يشجع على إختفاء الأسرة الممتدة وتعويضها بالأسرة العصرية النووية. (الخولي، 1984، ص174)

كما تراجعت الأسر الممتدة الموسعة لصالح الأسر النووية، وأصبح حجم الأسرة يتناقص بشكل كبير بسبب عدة عوامل كتراجع في مستوى الخصوبة هذا من جهة وكذلك تغير شكل الأسرة في حد ذاته والذي يتجه من الممتد إلى النووي، حيث أصبحت أغلب الأسر تقتصر على الزوجين وقليل من الأطفال وهو الشكل الأكثر ملائمة للحياة الحضرية، كما ساهمت الثقافة الصحية في توفير وسائل منع وتنظيم الحمل، وإنتشار الوعي تجاه التقليل من الإنجاب وتباعد الولادات مما قلص كثيرا من حجم الأسرة في المجتمع الجزائري.

أما فيما يخص العلاقات داخل الأسرة الجزائرية فقد تغيرت أدوار كل من الزوج والزوجة وتلاشت سلطة القرار التي كانت للأب لتصبح أكثر ديمقراطية بين أفراد الأسرة النووية، كما أصبح الأولاد يشاركون في معظم القرارات، وتراجعت العلاقات بين أفراد الأسرة لنقص حاجاتهم لبعضهم البعض، فبعدما كان الاحتكاك المباشر وعلاقة التواصل تضمن استمرار وقرير القيم والتقاليد أصبحت وسائل الاتصال والإعلام باختلافها تتكفل بذلك وعليه فقد استحوذت تكنولوجيا الاتصال على عقول الأفراد في ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي

والانترنت مما جعل أفراد الأسرة الواحدة يعيشون الإغتراب الاجتماعي وضعف الاتصال المباشر بالرغم من تواجدهم تحت سقف واحد وهذا مما ساعد على ضعفها وتفككها وتفانم النزعة الفردية وأصبحت المنفعة والمصالح هي أكثر مما يدفع بالفرد إلى أسرته.

كما أثر خروج المرأة للعمل في طبيعة العلاقات الاجتماعية، فأصبح الوقت عند المرأة العاملة ضيق جدا مما جعلها تعيش بعض العناء والصعوبات فأحيانا تقصر حتى في واجباتها المنزلية مع أفراد أسرتها، وأثر ذلك على علاقاتها مع الأهل والأقارب حيث قل التزاور بينهم إلا في المناسبات المهمة كالاعياد والأفراح والأفراح، حيث تستغل المرأة العاملة أوقات العطل الأسبوعية والفراغ أما في البقاء مع الأطفال في المسكن أو إخراجهم للترفيه في الفضاءات العامة بدلا من الذهاب لزيارة الأقارب، وهذا عند الضرورة القصوى، وعليه قد أصبحت العلاقات القرابية أضيق مما كانت عليه في المجتمع الجزائري التقليدي خاصة في الأحياء الحضرية الجديدة.

III- ثقافة الأسرة السوفية بين التقليدية والحضرية:

1. الثقافة التقليدية للأسرة السوفية: شهدت الأسرة السوفية (الأسرة التقليدية) قديما نظاما داخليا تتخلله عادات وتقاليد تميزها عن المجتمعات الأخرى، حيث تعتمد الأسرة في علاقاتها الداخلية على البساطة وروح التعاون والإحترام والمبادرة التي تدعم القيم العائلية من أجل التماسك والتكامل فيما بينهم، بحيث كان للأب السيطرة التامة على أسرته فهو الأمر وهو الناهي في كل شأن يخص أسرته، أما المرأة في غياب الأب أو وفاته فهي نواة هذه الأسرة ومنسقة شؤون البيت والقائمة على تربية الأولاد. (منصوري، 2015، ص 90-91)

وعليه فإن الأب يعتبر المسؤول الأول الذي يتحكم في كل الأمور داخل البيت خاصة من ناحية مصاريف البيت فيرشد الإنفاق بنفسه مخافة التبذير والإسراف، كما لا يجوز لأهل بيته التصرف في أي أمر مهم إلا باستشارته وبإذنه، وعند زواج الأبناء يبنى كل منهم أسرته لكن يبقى الجميع يظلهم سقف المنزل الواحد، وتكبر العائلة وتتضخم ولا ينزعجون من ذلك (العائلة الممتدة)، بل يتناولون غذائهم بصفة جماعية ويستعملون أغراض البيت ومكان الراحة (السباط) بشكل جماعي ويتسامرون مع بعضهم البعض، وكل أسرة داخل البيت الكبير تملك حجرة واحدة يأوي إليها الرجل وزوجته وأبناؤه، أما النفقة فيتحملها أب العائلة، وليس لأبنائه المتزوجين إيدار خاص بهم، ولا يملكون حرية التصرف في الأموال التي يوفرونها من أعمالهم، لأن الأب هو المسؤول الوحيد والأساسي لمالية البيت، وتبقى العائلة متماسكة مدة طويلة ولا تنفصم وحدتها، إلا بعد وفاة الأب أو عجزه تنتقل المسؤولية لابنه الكبير.

أما الزوجة فهي تطيع زوجها وتقوم برعاية أبنائها وخدمة شؤون بيتها، كما أنها تعمل إما في الزراعة لتساعد زوجها أو تعمل عمل حرفي كالنسيج وغسل الصوف وحياسة الألبسة والأفرشة وكذلك قتل الطعام وغيرها من الأعمال اليومية التي تمارسها المرأة السوفية في بيتها، ومن تقاليد الأسرة السوفية عدم خروج المرأة من البيت إلا للضرورة القصوى، إما في الأعراس أو المآتم، وإن أرادت الخروج فإنها تتحجب بغطاء ساتر لكامل جسدها وغالبا ما يكون برنس الزوج، أما الأبناء فيعملون على إحترام كبيرهم ووقار صغيرهم ويطيعون أوامر آبائهم وأقاربهم خاصة الأعمام والأخوال بحيث يوفر لهم آبائهم الرعاية الصحية ويحيطونهم بالمحبة والحنان فتشدد علاقاتهم بأبويهم، كما أن للأب دورا مهما في توجيه أبنائه في تصرفاتهم وأفعالهم، وبذلك يحرص على تدينهم ووعيتهم فيعلمهم مبادئ الدين الإسلامي ويجبرهم على قراءة القرآن الكريم وحفظه، كما يحدد لهم أوقات الدراسة وأوقات اللعب وأوقات نومهم، وينفذون أوامر أبويهم وذويهم بكل سمع وطاعة، وبهذا تظهر صفة الولاء والوفاء لسلطة الأب من طرف الأبناء. أما على مستوى العلاقات الاجتماعية بالنسبة للأقارب والجيران فكانت علاقات جد وطيدة ملئها التعاون والإخاء بين الأقارب والجيران فهم يمثلون لنظام ذلك الحي أو العشيرة والإمتثال لجميع تلك المعايير، كما نجدهم يقدسون المحيط ويحترمون بعضهم البعض، كما لهم نخوة التضامن والتعارف والتكافل الاجتماعي خاصة في مناسبات الأفراح والأفراح، فتجد صغيرهم

قبل كبيرهم في مد يد العون والمساعدة لأقاربهم وجيرانهم، أما من عاداتهم في المواسم والأعياد أنهم يوزعون الطعام على بعضهم البعض ليتذوق كلا منهم من طعام الآخر. (منصوري، مرجع سبق ذكره، ص 91)

وعليه فالثقافة التقليدية للأسرة السوفية قديماً كانت أكثر تماسكاً بالعائلة الممتدة التي تعيش في حيز اجتماعي محافظ يميزه جودة العلاقات الأسرية والقروية وهذا راجع إلى سيطرة العرف وتقاليد الأجداد على سلوكياتهم وعلى طريقة تفاعلهم مع بعضهم البعض.

2. الثقافة الحضرية للأسرة السوفية: لقد عرفت الأسرة السوفية الحديثة تطوراً كبيراً في التركيبة الأسرية من جراء الإستقلالية وحرية التصرف لكون الحياة الحضرية الجديدة تتطلب نوعاً من ثقافة التحضر الذي يميز المجال الحضري الجديد لمدينة سوف بكل تعقيداته ومكوناته المادية والغير المادية من عمران جديد متنوع الطراز و تفاعلات اجتماعية وأنماط سلوكية نابعة من ثقافة البيئة الحضرية الجديدة التي أثرت على الأسرة السوفية فمست خصوصيتها التقليدية، مما جعل أفراد الأسرة السوفية يستجيبون لثقافة التحضر ويبحثون عن أفكار جديدة يتبنونها أو مبادئ جديدة ينحازون إليها أو أساليب جديدة يطبقونها، وعليه فقد عرفت الأسرة السوفية تغيرات عديدة ملموسة مادية وغير مادية وذلك بإضافة أو حذف أو تعديل في السمات الثقافية الجديدة التي تلائم مسارها الحياتي، فبمجرد إنتقال الأسرة السوفية إلى الأحياء الحضرية الجديدة فقد تتأثر تلقائياً بمظاهر الحياة الحضرية العصرية من جراء ما تقدمه المدينة من إغراءات وإمكانيات متعددة كالحرية واستقلالية الفكر واللامسؤولية، وهذا ما جعل الأسرة السوفية تتغير من أسرة ممتدة إلى أسرة نووية، وهذا بمجرد زواج أحد الأبناء من العائلة الكبيرة يكثر مدة في بيت والده ثم ينتقل إلى مسكن خاص به بصفة إختيارية أو اضطرارية وهنا سوف تنشأ الأسرة النووية، وبعد أن كان الأمر والرأي كله لرب العائلة (السلطة الأبوية)، فتتدخل المرأة لتشارك الرجل في حياته الاجتماعية وصار لها دوراً في توجيه الأسرة وإدارتها، وأصبحت تنافس الرجل في عدة أعمال، كما أصبح مصروف البيت في يدها تتصرف به حسب ما تلميه عليها مطالب الحياة العصرية، وعليه أصبحت الأسرة السوفية استهلاكية بصورة كبيرة حيث تتبع كل ماهو جديد من ألبسة وأواني وأفرشة وأثاث وأنواع الأجهزة الإلكترونية التي تستعملها في حياتها اليومية من أجل مسايرة ثقافة التحضر و اتباع أقرانهم من أفراد المجتمع الحضري، وأصبح الأبناء كلهم يشاركون بكل حرية في النقاش الداخلي للأسرة، كما يتمتع الأبناء في اشباع بعض حاجاتهم خارج الأسرة من خلال قضاء وقت الفراغ في المقاهي والمطاعم والنوادي الرياضية، وأصبحوا يتبعون الموضة في شراء بعض المستلزمات التي يحتاجونها في حياتهم الحضرية كأنواع الألبسة و العطور والأحذية وآخر اصدرات من أنواع الأجهزة الإلكترونية كالكومبيوتر المحمول والهواتف النقالة، وأجود ساعات اليد وغيرها من أنواع الموضة التي تناسب حياتهم اليومية، وعليه فالأبناء دائماً يسايرون نحو العصرية والحضرية، فهم متأثرون بكل ماهو جديد، فتغيرت حتى طريقة كلامهم وتعاملهم مع الآخرين بصور وأنماط جديدة، وكذلك طرق الحلاقة العصرية المختلفة، وهناك بعض الشباب من يلبسون حتى السلاسل والأساور للزينة من باب أنهم يسايرون ثقافة التحضر متأثرين بثقافات مجتمعات المدن الكبرى التي تسير وتواكب التغير، كما أن وسائل التواصل والإعلام الجديدة ساعدت على التفتح وساهمت في إدخال أنماط جديدة على الأسر السوفية خصوصاً في طريقة الزواج، حيث أن هذا الأخير حالياً لا يحدث دون أن تسبقه فترة من التعارف تتيح لكل من الفتى والفتاة التعرف على الشخص الذي سوف يصبح شريك له في المستقبل، وإن اختلف أسلوب هذا التعارف تبعاً للطبقة الاجتماعية التي ينتمون إليها. (الخليوي، مرجع سبق ذكره، ص

(176)

وعليه فإن زواجهم أصبح يتعلق بهم أكثر مما يتعلق بذويهم وأقاربهم، أي أصبح مسألة شخصية أكثر منها جماعية، ولا مشكلة أن يختار الزوج زوجته من خارج بنات عمومهم كما كان سائد لدى الأسرة السوفية سابقا، بل هناك الكثير من الأسر السوفية يختارون لأبنائهم زوجات من ولايات الشمال، وكذلك هناك فتيات سوفيات متزوجات بأزواج خارج الولاية، كما أن عامل الاختلاط الذي واكب التغير خاصة على مستوى المؤسسات التربوية والجامعية والإجتماعية وغيرها ساعد بشكل كبير من رفع حظوظ الاختيار الحر، بل عمد أي عامل على أن يشرف كلا من الرجل والمرأة شخصيا على تنظيم هذا الاختيار، فأضحى التعاون المشترك بينهما يظهر جليا في تحمل مختلف تكاليف الزواج ومسؤولياته، كما أتاح للمرأة السوفية أن تختار مع زوجها المستقبلي لوازم العرس وخاتم الزواج وغيرها من الأمور التي كانت في وقت ما من اختصاص الأولياء والكبار في السن من أقارب الأزواج، كما أصبحت المرأة السوفية المثقفة والمتعلمة تمتع بقدر كبير من الحرية في الإدلاء بآرائها كأن تقبل أو ترفض من يتقدم لخطبتها حسب شخصية الخاطب، أي يتلائم معها أم لا، ولا أحد يجبرها في ذلك عنوة أو قهرا. غير أن هذا غير معمم على كل الأسر السوفية، هناك بعض الأسر السوفية لازالت تتمسك بوظائفها التقليدية التي كانت تمارسها سابقا في طرق الاختيار لأبنائهم وبناتهم شريك الحياة.

وعليه فإن التحولات الثقافية والاجتماعية التي عرفت الأسرة السوفية في عمقها من جراء الثقافة الحضرية شكلت أسلوب حياة جديد للأسرة السوفية داخل الأحياء الحضرية الجديدة، حيث يصبح الفرد في المجتمع الحضري يكتسب ثقافة خاصة ألا وهي الثقافة الحضرية، وقد يرجع الفضل للمفكر الاجتماعي لويس ويرث **Lwiss Wirth** الذي أعطى مفهوم واضحا للحضرية بحيث أبدى نظريته في ذلك " أن ايكولوجية المدينة بما تفرضه من تفاعلات وعلاقات تنتج عنها سلوكات وذهنيات تطبع حياة الفرد الحضري وتكسبه ثقافة خاصة تنعكس على سلوكه يمكن أن نطلق عليها الثقافة الحضرية يكتسبها الفرد من خلال الإقامة في المدينة ويتلون سلوكه بلونها. (بمخولوف، 2011، ص 28)

كما إعتبر لويس ويرث أن هذا التحضر يؤدي إلى نوعية تغير الأفراد من حيث علاقاتهم الإنسانية وطبيعتها وقد تظهر هذه التغيرات جليا من خلال ما ظهر على المستوى الواقعي والفعلية من حيث إبتعاد العائلة التقليدية عن وحدتها الكبيرة من القرابة وتقلص حجمها وهذا في إطار ظهور الأسرة النووية، وبذلك يتحقق الإستقلال الذاتي للأفراد داخل الأسرة سواء كان هذا الاستقلال اقتصادي أو ثقافي أو اجتماعي، حيث أنه يمكن الأفراد الخروج من عزلتهم الداخلية المغلقة والحلقة المتواصلة التي كانوا يدورون حولها، مما جعلهم يسايرون الثقافة الحضرية التي أحدثت تغيرات أثرت على أدوار ومراكز الأفراد الإجتماعية داخل المجتمع، لذلك تعتبر الحضرية عاملا أساسيا في تغير سمات وخصائص المجتمع من تقليدي إلى حضري ويظهر ذلك جليا في مختلف المجالات، أهمها:

- تحول نوعية العمل من العمل التقليدي الزراعي في الريف إلى العمل الصناعي والتكنولوجي في حيز المدينة والمراكز الصناعية الحضرية الكبرى.

- تغيير مكان الإقامة وهو الإنتقال من بيت العائلة الكبيرة (العائلة الممتدة) إلى البيت الفردي (الأسرة النووية)

- الملكية الاقتصادية و انتقالها من رئيس العائلة الكبيرة (الأب) إلى الاستقلالية الفردية وهو الإبن مسؤول الأسرة الصغيرة النواة.

- خروج المرأة للعمل والذي أدى بدوره إلى سطحية العلاقات القرابية و الجوارية ، وهذا سببه ضيق الوقت بالنسبة للمرأة العاملة التي لا تستطيع توفير الوقت الكاف لزيارة الأهل والأقارب والجيران.
- إنتشار تصرفات و سلوكات في مجتمع المدينة كزيارة الأقارب بالموعد، والاتصال بالهاتف قبل التزاور وهذا من جراء الانشغال الدائم لأهل المدينة.
- تغير نمط العلاقات الاجتماعية التي كان يسودها التماسك وحب الإخاء والتعاون لدى الأسرة التقليدية إلى نمط المصلحة والسطحية والنفعية لدى الأسرة الحضرية.

IV- الخلاصة:

من خلال الطرح السابق يمكن القول بأن للثقافة الحضرية دورا مهما في التغير الذي طرأ على الأسرة السوفية في الأحياء الحضرية الجديدة، بحيث تأثرت هذه الأسرة بالعوامل الثقافية الجديدة التي مست هويتها وعاداتها و تقاليدها، بعدما كانت الأسرة السوفية أسرة منغلقة ذات طابع بدائي تقليدي تمارس حياتها بشكل تلقائي بسيط أصبحت الان تعيش واقع اجتماعي معقد نتيجة لتطور الحياة الاجتماعية، فقد برزت فيه عدة سلوكات وتغيرات لم يألها المجتمع السوفي سابقا كتغير نمط الأسرة من ممتدة إلى نووية وكذلك ضعف السلطة الأبوية وانتشار ديمقراطية القرار للأفراد داخل الأسرة بعدما كانت سيادة الحكم للأب، وخروج المرأة السوفية للعمل مع اكتساب الثقافة الحضرية، وكذلك حرية الأبناء في نوعية الهنّاد واللباس وطريقة الخلاقة، واختيار الزوج للزوجة التي يجدها تناسبه في حياته، كما عرفت الأسرة السوفية سطحية في العلاقات والروابط الاجتماعية على مستوى الأهل والأقارب، لأن أفراد الأسرة في المدينة يمكنهم الإستغناء عن أقاربهم نظرا لتوفر كل ما يحتاجونه في المدينة، وهذا كله حصيلة الثقافة الحضرية التي اكتسبتها الأسرة السوفية حين إنتقالها إلى الأحياء بالمدن الحضرية الجديدة.

- الإحالات والمراجع :

- 1- أحمد منصوري بن الطاهر (2015) الدر المرصوف في تاريخ سوف، قيم وعادات وتقاليد المجتمع السوفي قديما، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر.
- 2- أحمد عاطف غيث (1986) علم الاجتماع الحضري، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
- 3- السعيد عواشيرة (2003) الأسرة الجزائرية إلى أين؟، مجلة العلوم الإنسانية ، عدد 19، جامعة قسنطينة، الجزائر.
- 4- الفضيل العريج (2009) الثقافة الحضرية ومشاكل الاندماج السوسيوثقافي، ط1، مطابع الرباط، المغرب.
- 5- بوفلجة غياث (2015) القيم الثقافية وفعالية التنظيمات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- 6- محمد بمخلوف (2011) الحضرة، شركة دار الأمة، الجزائر.
- 7- تومسون دارين، ولويس دافيد (1969) مشكلات السكان، ترجمة راشد الراوي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 8- حسين عبد الحميد أحمد رشوان (2012) الأسرة والمجتمع، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر.
- 9- خالد محمد أبو شعيرة (2008) تائر أحمد غباري، الثقافة وعناصرها، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان.
- 10- عبد المنعم شوقي (1981) مجتمع المدينة الاجتماع الحضري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- 11- فادية عمر الجولاني (1993) علم الاجتماع الحضري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر.
- 12- وجدي شفيق عبد اللطيف (2007) علم الاجتماع الحضري والصناعي، دار مكتبة الإسرائ، ط1، أسبوط، مصر.
- 13- سناء الخولي (1984) الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
- 14- مالك ابن نبي (1959) مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، مطبعة الجهاد، القاهرة، مصر.
- 15- محمد السويدي (1991) مفاهيم علم الاجتماع ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- 16- مولاي الحاج مراد وآخرون (د. س) التغير الاجتماعي، الأجيال والقيم في الجزائر، دراسة سوسيو- أنثروبولوجية بمنطقة وهران، مشروع بحث: مركز البحث في الإثنوبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران. الجزائر.

18-Denys Cuche, **Notion de culture** dans les sciences sociales.

19-Maouiasaidouni , **Element d introduction a urbanisme** .casbah edition

20-Six levels of culture: **national and societal culture** (<http://www.culturalorientations.com/Our-Approach/Six-Levels-of-Culture/National-Societal-Culture/86/>).